الفصل التاسع والعشرون

غريزة السرقة « كلبتومانيا »

أوردت الدكتورة " دوينيتا فرجسون " فى مجلة " كورنوت " أنه قد تعددت حوادث السطو على منازل إحدى المدن الأمريكية، عن طريق دخول الطابق الأول واقتحام غرفة نوم السيدات. وسرقة أدوات الزينة والحلى والثياب الداخلية وخطابات الغرام النسائية ليس غير وذلك فى جميع هذه الحوادث. ومن سارق واحد ارتكب نحو ٤٠٠ سرقة فى أقل من سنة، وأخيرا ضبطه البوليس متلبسا بآخر جرائمه وقد تبين من تفتيشه أنه يحمل عددا كبيرا من رسائل الغرام ويخفيها تحت ثيابه كما لو كانت أنفس شيء لديه.

وكان هذا اللص الرهيب شابا نحيل الجسم، قميء الهيبة دقيق العظام رقيق الحس لم يلبث أن اعترف وهو بين يدى المحقق بحقيقة جرائمه. وكان اعترافه طلقا مفصلا لم يحاول فيه إخفاء شيء مما ارتكب. ولما مثل أمام القاضى أعاد اعترافه وقال: إنه يعلم تمام العلم أنه اجترأ على القانون وخالف الوضع الاجتماعى الصحيح وأنه لذلك يستحق العقاب. ثم أضاف إلى قوله هذا أنه مع ذلك لم يكن يسرق لكى يعيش ، ولكنه كان يحس وهو يقترف جرائمه بأنه مدفوع إلى ارتكابها بعامل خفى لم يكن يدرك كنهه، وأنه لم يكن يستطيع كبح جماح نفسه إذا ما أرخى الليل سدوله عن أن يخرج فى تلك الجولات التى كان يقوم بها والتى كان يعود منها راضيا عن نفسه كل الرضا، مطمئنا كل الاطمئنان مستشعرا براحة نفسية تامة لم

يكن ليحصل على شيء منها أثناء النهار.

ومحاكم أمريكا - كمحاكم غيرها من بلاد الله - لا يتسع صدرها لمثل هذا الهذيان، فتوكل قاضيها على الله، وأنزل بهذا المجرم الجريء الفاجر أشد العقوبة.

وكان مدير السجن الذى نزل فيه المتهم من رجال العصر الحديث الذين يقضون أوقاتهم فى القراءة والاطلاع على ما يستحدثه أولو الألباب من البحوث والدراسات، وكانت قد طغت على المكتبات فى بلده موجة العلوم النفسية الحديثة، فقرأ لفرويد ولأصحابه ما قالوا، وعرف الشعور واللاشعور، كما عرف العقد النفسية وكيفية انعقادها ووسائل حلها، ورأى أن يجرب شيئا من معرفته هذه مع ضيفه الجديد، لينظر هل يفلح فى العثور على عقدته؟ ثم هل يوفق بعد ذلك إلى معالجة حلها؟ فصار يستدعيه إليه ويخلو به كلما سمح له عمله بذلك، ثم يحادثه ويحادثه ويستمع إلى حديثه ويوجهه فيه. ويسأله ويتلقى جوابه حتى وقف على قصة حياته، وعلى التيارات التحتية التى أثرت فى سلوكها وانحرفت به عن طريق الهداية إلى ذلك الطريق المعوج الذى سلكه. فعرف كيف أنه فى طفولته أصيب بشلل الأطفال. وأن ذلك أثر فى نمو جسمه فنشأ ضعيفا عاجزا متخلفا عن أقرانه فى الجد وفى اللعب. وأنه كانت له شقيقة قوية البنية مفتولة العضلات تمارس كثيرا من الألعاب الرياضية، فكانت كثيرة الاستهزاء به والحط من شأنه والتهكم عليه والتنديد بضعفه وعجزه

فلما شب وكبر هفت نفسه إلى الفتيات اللاتى فى مثل سنه بحكم غرائزه الفطرية، ولكنهن أعرضن عنه وازدرينه. فشعر بشيء من التحول فى عواطفه نحوهن، وذهب الشوق وحل محله النفور، وتبخر الحب وانعقدت مكانه سحب الكراهية والمقت. وانعكست عاهته الجسمية على نفسه فشوهتها هى أيضا، وأصبح يحس بهذا الدافع الخفى الذى كان يدفعه إلى تحسس فرائصه فى مضاجعهن،

وسلب أمتعتهن وسرقة رسائلهن، وهتك أسرارهن والاستمتاع بآثارهن.

ووضع مدير السجن أصبعه على " العقدة " بعد أن تكشف له نفس صاحبه على هذه الصورة الواضحة.

فإن ما أصاب الشاب فى طفولته من الشلل وما أورثه هذا الشلل من عجز وما واجهت به أخته هذا العجز من زراية وسخرية - كل أولئك أشعر الصبى بنقصه وحقارة شأنه ولكن " غريزة السيطرة " - وهى إحدى الغرائز الرئيسية فى الإنسان - تأبى عليه أن يعيش فى هذا الهوان الذى سببته له عاهته. فهو لابد له من الكفاح للخروج من هذه الورطة ولربما يستطيع أن يرده إلى نفسه من الاعتبار، ولكنه شب وكبر، وأصبح يلقى من الفتيات أقسى مما كان يلقى من أخته، وفى الوقت الذى تفتحت فيه نفسه للصواحب والصديقات، غلقت دونه الأبواب فى كبر واشمئزاز، وارتفعت حرارة عواطفه فلم يلق من جاراته إلا الماء البارد، يلقى على ناره المشبوبة، إنها إذا الحرب قد أعلنت بينه وبين هذا الجنس الآخر المتمرد المتغطرس..

ورأى المسكين أنه استدرج إلى معركة لم يكن له يد فيها، ودفعته " غريزة البقاء إلى الثبات والدفاع عن نفسه. فنزل إلى الميدان ولكن بسلاحه الخاص الذى يسرته له الطبيعة، والذى لم يكن يملك غيره، سلاح السطو والاغتصاب.

قام بأولى غزواته الليلية على مخدع فتاه ممن تأبين عليه، مع كثرة صلاتها بشبان الحى أجمعين، فسلب، ونهب وخرج من الموقعة بغنائمه وأسلابه راضيا عن نفسه، معتزا بشجاعته وقد تولاه إحساس مريح بأنه عرف كيف يستر شخصيته التى تآمر المجتمع على أن يفقده إياها، ومنذ تلك الليلة التى استشعر فيها تلك الراحة، جعل دأبه أن يقوم مع الليل فيجدد نشاطه ويفتتح ميادين جديدة، يستمتع فيها بإثبات شخصيته. وكان كل عمل يؤديه يرمز إلى ناحية من نواحى النقص الذى يحسه ويثير فى نفسه الشعور بالتعويض والرضا. فاقتحام المنازل كان يشعره بالقوة الجسدية التى لم يكن ينعم بشيء منها، لأنه مصاب بذلك الشلل الذى لا يشعره إلا

السقم والضعف؛ وسرقة أدوات الزينة وتلك التوافه التى يحرص عليها النساء كان يعوضه عن حرمانه من مجلسهن والاستمتاع بهن. وسرقة رسائل الغرام كانت تعوضه عن تحريرها بنفسه وتبادلها مع غيره.

تلك كانت قصة هذا الشاب العجيب، ولكن أعجب منها كانت قصة مدير السجن: فإنه عول على انتشال الشاب من ذلك التيار الذى جرفه وعلى العودة به إلى المجتمع سليما معافى مما ألم به. فما زال به حتى جعله يقتنع بأن مرضه وعجزه هما اللذان دفعا به إلى سلوكه الحالى، وأنه كان ضحية أخته القاسية بقدر ما كان ضحية ذلك العجز الطبيعى، وأنه لو كان فى طفولته قد لقى ما يخفف عنه، وطأه عاهته بالمحافظة على شخصيته والقيام على توجيهه نحو العمل الذى يلائم حالته لما اندفع نحو السرقة ليعوض بها ما فاته على النحو الذى قدمنا.

وما كاد الشاب يرى نفسه على حقيقتها فى ضوء هذا التحليل حتى أبدى رغبته فى الإقلاع عن تلك العادة التى تحكمت فيه وصار يلح فى طلب أى عمل مشروع ليمارسه، فلما أرشده المدير إلى العمل الذى اختاره له ، أقبل عليه بكل جوارحه حتى أتقنه، وسار فى السجن سيرة محمودة، فلما أتم مدة عقوبته خرج، وهو يشعر أنه قد خلق خلقا جديدا وزكاه مدير السجن لدى شركة كبيرة؛ فقدمت له عملا مما تعلمه وهو فى السجن، فكان فى عمله الجديد موضع رضاء من معه، وانزاح عن نفسه إحساسه، بنقصها وصلح حاله، وتزوج وعاش بقية عمره عيشة راضية.

مرضى قابلون للشفاء:

الواقع أن معظم المصابين بداء السرقة قابلون للشفاء إذا كفلت لهم العناية الواجبة ، وقد اهتم الأخصائيون فى أمريكا بدراسة هذا المرض فكشفوا عن أسراره، ونجحوا فى علاجه، والقصة التالية أفضل دليل على ما نقول:

منذ خمس سنوات ، قبض بوليس إحدى المدن الأمريكية على كاهن معروف فيها متلبسا بسرقة سيارة، واعترف الرجل أمام المحقق بأنه اعتاد سرقة السيارات،

وكشف له عن الحوادث التى ارتكبها ولم يضبط فيها فأحاله المحقق إلى المحكمة الجنائية.

وحاول محامى المتهم أن ينفى عنه جريمة السرقة، وينسب إقدامه عليها إلى مس فى قواه العقلية، وأحاله القاضى إلى مستشفى الأمراض العقلية، حيث ظل يعالج بالتحليل النفسى مدة عام كامل حتى شفى من داء السرقة، واستطاع أن يستأنف عمله فى خدمة الدين، وهو الآن من أشهر رجاله فى أميركا. ويتقاضى مرتبا ضخما. وينعم بمواهب عقلية ممتازة، ويحظى بالاحترام.

أما إصابته بداء السرقة فترجع إلى العوامل التالية التى أدلى بها فى اعترافاته لأطبائه: قال الرجل: "منذ طفولتى وقفت نفسى على أن أكون كاهنا لكن أمى كانت تنهانى عن هذا المهنة، لأنى فى نظرها لن أصلح لها فكانت تنتقدنى بشدة وتجسم هفواتى، وتزجرنى وتعاقبنى على أى خطأ يبدر منى، ولم أستطع اختيار مهنة أخرى لأن الأمر كان قد قضى فيه، والتحقت بكلية اللاهوت، وأتممت دراستى وعينت كاهنا وكنت فى قرارة نفسى أمقت هذه المهنة، وأشعر بشيء من النقص كان يعوضنى عنه إعجاب الناس، وتقديرهم لعملي، ثم تزوجت ولم أوفق فى حياتى الزوجية لأن زوجتى كانت كأمى تجسم من أخطائى، وتنتقدنى انتقادا آمرا وتزعم أننى لا أصلح لا للحياة الزوجية، ولا لخدمة الدين ولا لأية مهنة أخرى، فضعفت ثقتى بنفسى، وفقدت سيطرتى على الزوجة وعلى المنزل وتولدت عندى الرغبة الملحة فى السرقة، سرقة الأشياء الكبيرة التى تشعرنى بالمقدرة والسيطرة والزعامة فوجدت أن هذه الأمور يمكن تحقيقها فى سرقة السيارات، فإنى فى قيادتها على الصورة التى أريدها وفى توجهها كما أشاء، كنت أشعر بتمام الرضا النفسى وبالتعويض الكامل عن كل نقص أصابني.

وقد سهلت هذه الاعترافات مهمة الأطباء. فنجحوا فى علاجه، وأنقذوا الرجل من دائه الخبيث. ويقول العلماء: إن مرض السرقة مثل مرض الكذب، ينشأ كل

منهما من العوامل النفسية؛ كما ينشأ من الاضطرابات الفسيولوجية، وضعف الغدد المتصلة بالمخ، فلا يستطيع، أن يؤدى وظيفته كاملة، كما ينشأ أيضا من عوامل اجتماعية كالمنازعات التى تحدث بين الأبوين وتؤدى إلى هدم السعادة المنزلية والخصومة بين أفراد الأسرة الواحدة أو الطلاق، فيتأثر الأولاد - وعلى الأخص الفتيات بمسلك آبائهن أو أمهاتهن، فيؤثر العزلة على الاختلاط، إذ يعتقدون أن الناس يتهكمون عليهن ويسخرون منهن فينشأ عندهن مرض السرقة. وكذلك ينشأ المرض من خيبة أمل الفتاة فى حبها أو المرأة فى حياتها الزوجية، أو عدم توفيق الشباب أو الفتاة إلى الزواج فالرجل الأعزب والفتاة العانس قد يصابان بمرض السرقة.

فقد حدث أن ضبطت فتاة مثقفة غنية من أسرة كبيرة متلبسة بسرقة دراجة وعند التحقيق معها أعربت عن أسفها على ما فعلت، وأخبرت المحقق بأنها تجد لذة كبيرة فى السرقة، ولذلك ترغب فيها وأن هذه الرغبة الملحة نشأت عندها منذ أن أهملها زوجها.

ولما كان المحقق من المهتمين بعلمى النفس والاجتماع، فقد مضى يستدرجها حتى كشفت له عن تاريخ حياتها فقالت:

« إنى الشقيقة الوحيدة لخمسة أخوة.اعتادوا أن يضايقونى فى طفولتى، ويطلقون على كنايات التهكم والسخرية، ولما أصبحت فتاة حاولت أن أظفر بإعجابهم فأخفقت وكانوا يركبون الدراجات فتعلمت مثلهم ركوب الدراجة، وأخذت أتفنن فى قيادتها، حتى كنت أسير أسرع منهم، وأتفوق عليهم فى المسابقات؛ وقد عوضت عن هذه الهوية المفيدة ما كنت ألقاه من عنف واضطهاد.

وتزوجت وسعدت فى حياتى الزوجية وقتا قصيرا، ثم أهملنى زوجى لانهماكه أيضا فى حياتى الزوجية، وشعرت بالرغبة فى سرقة الدراجات وحدها، لأنها كما كانت تشعرنى بالرضا وأنا فتاة، كانت تشعرنى كذلك بالرضاء بعد أن تهدم صرح

سعادتي الزوجية، فأنا لا أسرق إلا الوسيلة التي أشعر أنها تعوضني عن نقض طارئ.

وهكذا ثبت للمحقق أن المرأة كانت حسنة النية، إذ كانت تسرق الدراجات وتغير طلاءها وتبيعها لأمهات الأطفال الذين ذهب آباؤهم إلى ميادين القتال عبر البحار؛ ثم ترسل الثمن إلى جمعية الصليب الأحمر.

ولما كانت قد أبدت الرغبة الخالصة في الإقلاع عن السرقة، كان لابد من أن يعود إليها زوجها. وهذا ما أوضحه له الطبيب النفساني، واقتنع الزوج، وعاد إلى العناية بزوجته وعندئذ شفيت.

من هو الإنسان العادي؟

الإنسان العادي في تعرف الدكتور "ساندو لا راند" الطبيب النفساني العالمي هو الشخص الذي يستطيع أن يقيم علاقات اجتماعية مع الناس على اختلاف ميولهم وبيئاتهم وأن يؤدي عملا مشروعا وأن يهيئ الصفاء في الأسرة، وأن يسعد في حياته الزوجية، فإذا خاب في أية ناحية من هذه النواحي لسبب قهري أو غير إرادي أو لعدم تأدية أعضاء الجسم لوظائفها كما يجب، تولد عنده مرض السرقة.

فالثابت أن معظم المرضى بهذا المرض الداهم أشخاص اضطربت عواطفهم أو أفكارهم فلم يعودوا يعرفون كيف يسوسون أمورهم أو ينجحون في أعمالهم، والسبب المباشر لذلك هو إخفاق آبائهم في تربيتهم التربية الواجبة بسبب خيبتهم في حياتهم الزوجية وعجزهم عن إقامة صرح السعادة العائلية.

ويستطرد الدكتور "لوراند" فيقول أن مرض السرقة يشبه إلى حد كبير، المشي في أثناء النوم، وكلاهما مرض نفسي فالشخص الذي ينهض من نومه وهو غير واع ويسير في المنزل ويؤدي أعمالا معينة أو يسير على حافة الشرفة إنما يفعل ذلك بدوافع نفسية وهو حين يعود إليه عقله الواعي لا يذكر شيئا مما فعل أثناء النوم، إنما الفرق بين الحالتين أن المصاب بمرض السرقة يسرق وهو في حالة الوعي.

أما الذى يمشى أثناء النوم فإنه لا يكون واعيا. على أن السارق فى الحالة الأولى سرق دائما أشياء ترمز إلى التعويض عن نقص، فهو قلما يفكر فى الناحية المادية وحين يعرف المحلل النفسانى نوع الأشياء المسروقة يسهل عليه معرفة الدافع فيوفق فى علاجه.

ويقول رجال المباحث الجنائية والبوليس السرى أن بعض النساء تصاب فى أيام الحمل بمرض السرقة وسبب ذلك يرجع إلى اضطراب وظائف الجهاز التناسلى فيؤثر فى باقى أعضاء الجسم إذ يكنّ فى حالات عديدة قد عمدن إلى الامتناع عن الحمل مدة طويلة، ثم عدن إليه ويعامل القضاة الحوامل اللائى يسرقن فى أثناء مدة الحمل دون أن يكن فى حاجة إلى السرقة، بمنتهى الرحمة والشفقة مراعاة لظروفهن.

المرأة والجريمة:

قالت إيريش تيمس: إن الفتاة التى تسطو على البيوت مألوفة فى دبلن فقد قدمت للمحاكم فتيات بتهمة السرقة، وتنقسم أولئك الفتيات إلى قسمين: الأول من كان لها أخ عضو فى إحدى العصابات، والثانى من كانت تنتمى إلى عصابة كل أعضائها من النساء.

ولكن الجرائم التى ترتكبها الفتيات والنساء يغلب عليها بصورة عامة طابع خاص وهى السرقة من البيوت أو المخازن أو خطف حقائب السيدات فى ملاهى الرقص أو الصناديق المخصصة لوضع الثياب فى أماكن الاستحمام.

وليس من شك فى أن اعتياد النساء على السرقة والأسباب التى دفعتهن إليها مشكلة اجتماعية خطيرة تحتاج إلى درس وعلاج.

وحسبنا أن نذكر تلك الفتاة التى بدأت ترتكب السرقة من منزل مخدومها، فإن المحتمل أن تكون من إحدى المقاطعات النائية التى يعيش ذووها فى فقر مدقع، فجاءت إلى دبلن ووجدت عملا فى سهولة ولا بد أنها لاحظت الفارق العظيم بين قريتها والعاصمة، ورأت مظاهر المدينة فكثرت رغباتها ومطالبها

وسرعان ما تشعر بحاجتها إلى ترتيب شعرها على أحدث طراز وإلى شراء مستحضرات التجميل ورغبتها فى الحصول على ثياب أنيقة. وقد تكون تعرفت على أحد الأصدقاء من الرجال فيحرضها على سرقة النقود.

وهنا تبدأ فى السرقة، ولابد أن يكتشف أمرها طال عليها الوقت أو قصر فإذا اكتفى مخدومها بطردها قررت البقاء فى دبلن فى انتظار العثور على عمل ولكنها - إذا لم تكن تحمل كتاب توصية - لا تستطيع أن تقيم فى الأماكن المخصصة لسكنى الفتيات العاملات لأن هذه الأماكن تحاذر من قبول الفتيات غير المعروفات. وعندئذ قد تضطر إلى البحث عن غرفة تأوى إليها ، ويحتمل أن تشترك فى تلك الغرفة مع امرأة أخرى أمهر منها وأعرق فى السرقة والجريمة. فإذا كانت من النوع " الخام أو قليلة الذكاء سهل على زميلتها أن تسيطر " عليها، وأن توجهها فى طريق الإجرام فتصبح من بنات الشوارع.

وتتبع ذلك مرحلة من الأمراض، وانحطاط الأخلاق والأعصاب الناشئ عن الإجهاد. وقد تنتقل بعد هذه المرحلة إلى مستشفى الأمراض العقلية أو إلى أعماق السجون

ومن بواعث الارتياح أن يكون هناك احتمال لتدخل مراقبات سلوك النساء فى الوقت المناسب للحيلولة دون تدهور الفتاة إلى الحضيض أو تدخل المحكمة، فترسل الفتاة إلى إحدى الصلاحيات فتبتعد عن الإغراء والتحريض وتستقيم سيرتها.

أما إذا استمسك مخدومها - عند اكتشاف سرقاتها - بوجوب تقديمها للمحكمة فإن القاضى يؤجل القضية إلى أن تستطيع إحدى مراقبات السلوك درس الظروف التى أحاطت بها. وإذا كانت الفتاة صغيرة السن فقد تقترح المراقبة الاكتفاء بردها إلى أهلها، ومتى كان محيطها العائلى فاسدا أرسلت إلى مدرسة صناعية.

وإقدام فتاة المدينة على السرقة رغم خطره، أخف عاقبة من لجوء فتاة القرية إلى هذه الجريمة، فللأولى عادة بيت تقطن فيه مهما كان هذا البيت غير صحى أو غير ملائم وظروفها خير من تلك التى تلجأ إلى السكنى الرخيصة. ومهما يكن من شيء تظل إحدى الفتاتين تحت المراقبة، وقد تساعدان على الالتحاق، بعمل أو ترسلان إلى منازل خاصة تشرف عليها الأجهزة الحكومية إلى أن تقوم الدلائل على رجوعهما إلى الاستقامة.

ملاحظات عن جريمة قتل:

" فى كل جريمة تقع بعض تصرفات غير طبيعية تكفى إذا تنبه لملاحظتها عقل منطقى دقيق خبير بطبائع النفوس البشرية لأن تميط اللثام عن سرها ودوافعها وتهدى لفاعليها ".

هذه قصة واقعية حدثت بإحدى مدن أمريكا. وهى قصة عادية يتكرر مثلها فى عالم الإجرام فى البلاد كلها ليس الغرض سرد حوادث تثير اهتمام القراء ، ولكننا نقصد إلى عرض أسلوب البحث والتحقيق المثمر فى مثل هذه الحالات.

وجد أحد التجار فى إحدى مدن أمريكا مقتولا فى مسكنه الخاص الذى يقطن فيه هو وزوجته وحدهما، ووجدت زوجته وقد أوثقت برباط إلى مقعد فى المطبخ وذكرت الزوجة أنها أحست حوالى الساعة الثانية عشرة بعد منتصف تلك الليلة بحركة فى المنزل، فهبت من نومها، واتجهت إلى المطبخ مخترقة قاعة الطعام التى تتوسط الشقة فلم تشعر إلا بهجوم رجلين عليها جاءاها من خلفها، وسارع أحدهما بسد فمها، وتسلل الآخر إلى غرفة النوم، حيث يرقد زوجها، وبعد ذلك بلحظة سمعت طلقا ناريا، وعلمت أن زوجها قتل. وكل ما استطاعت أن تتبينه من ملامح الجانيين أن أحدهما طويل والآخر قصير.

وتولى رجال التحقيق بحث الوقائع واتضح لهم أن القتل كان بقصد سرقة مبلغ سحبته الزوجة فى اليوم نفسه من البنك، وبعد تعقب كل من يشتبه فيهم فى الجهة،

وتعرف كل من يصح أن يكون قد حام حول البنك فى ذلك اليوم منهم لم يستطع التحقيق أن يصل إلى نتيجة فى تحديد الفاعل فى هذه الجريمة.

وبعد ثلاثة أيام من الحادث رأى المحقق أن يستعين بخبير من رجال المباحث بخبرته الواسعة بالجرائم والمجرمين سبق أن أماط اللثام عن أسرار كثير من الجرائم الغامضة.

حضر هذا الخبير وهو رجل هادئ، لايكاد يشعر الرائى بأنه رجل غير عادى، وهو فى الواقع ليس أكثر من ذلك، وكل ميزته أن يستطيع أن يكشف ما هو غير عادى من التصرفات التى تصدر عن المجرمين وبذلك يمسك بالخيط الذى يجذب به الحقائق من أعماقها.

كان أول ما قام به الخبير أن اتصل بالمحقق واستمع إلى ما ورده من الوقائع وما اتجهت إليه شبهته. وأراد المحقق أن يتصل بالمشتبه فيهم ويستمع إلى أقوالهم.

ولكنه قال فى رفق إنه يفضل أن يبدأ بزيارة مكان الجريمة. فوافقه المحقق، وقال له: إنه سيجد هناك أرملة القتيل، وقد يستفيد منها بعض الفائدة على الرغم من فداحة ما تشعر به من الآلام الفاجعة التى رزئت بها.

قصد الخبير إلى سكن القتيل تصحبه سكرتيرته الخاصة التى تدون كل ما يقوم به فوجد الأرملة جالسة وبيدها إنجيل تقرؤه فقال لها:

صباح الخير يا سيدتى، إنى أنا رجل المباحث الذى دعى للنظر فى القضية وإنى أرجو إلا أزعجك كثيرا، فأنى أعلم مبلغ ما سببته لك الفاجعة من متاعب وما أرهقك به رجال التحقيق من أسئلة. وكل ما أرجوه أن تأذنى لى بإلقاء نظرة على المسكن ومحتوياته.

فشكرته السيدة وراحت تبكي، فربت كتفها وطيب خاطرها، قائلا لها: ما جدوى البكاء وهو لا يرجع ذاهبا؟

ثم انصرف إلى مهمته، وأخذ يرسم تخطيطا للمسكن، وعرف أنه مكون من ثلاث غرف إحداهما للنوم وبها سرير واحد ينام عليها الزوجان، وغرفة جلوس، وكلتا الغرفتين لها منافذ خارجية على الشارع ثم تليهما قاعة الطعام وليس لها نوافذ على الخارج، ثم تتصل قاعة الطعام بالمطبخ، وهو على شارع عام وبه منافذ، وبعد أن أتم المعاينة وأتم الرسم، عاد إلى السيدة وقال:

والآن أيتها السيدة أرجو منك أن تتفضلى إذا لم يكن فى ذلك إزعاج لك بتمثيل ما حدث فى تلك الليلة تمثيلا دقيقا. وهنا فعلت قائلة:

- لقد كنت نائمة فى الغرفة مع زوجي.

- وأين كان وضعك وأنت نائمة .

- كنت على الطرف الخارجي.

- حسن هذا يفسر قيامك على أثر سماعك الحركة دون أن يستيقظ زوجك .

- وسمعت حركة فخرجت من الغرفة إلى قاعة الطعام متجهة نحو المطبخ.

- أظن يا سيدتى أن الليلة كانت مقمرة، ولا بد أن الضوء كان يتسرب إلى المكان من النوافذ.

- هذا صحيح. ولكن قاعة الطعام لم تكن مضيئة إضاءة كافية. ولهذا لم أتنبه لوجوده أحد ولم أشعر، وأنا على أبواب المطبخ، إلا وقد هوجمت من الخلف. وسارع أحد المهاجمين إلى سد فمى وتقييد حركتى بينما أسرع الآخر إلى شد وثاقى، وقيدت إلى مقعد بالمطبخ.

- هل تبينت ملامح الرجلين؟ أظن ضوء القمر فى المطبخ كان يسمح بشيء من ذلك

- أنت تدرى حالة الإنسان فى مثل هذه الظروف. كل ما استطعت أن أتبينه أن أحدهما طويل والآخر قصير

– وهل كان الطويل يلبس قبعة صغيرة ويضع على عينيه نظارة سوداء؟

– يا لله! هذا صحيح. كيف غابت عنى هذه الملاحظة فلم أذكرها إلا الآن وأنت توردها؟

– استمرى يا سيدتي.

– ثم تسلل الرجل القصير إلى غرفة النوم وسمعت طلقا ناريا

– ماذا حدث عند سماع الطلق؟ هل قال أحد الرجلين شيئا؟

– نعم. قال الرجل الطويل القائم إلى جوارى عندما سمع الطلق: ما هذا؟ هل كانت له ضرورة؟ فأجابة القصير من الغرفة: لم يكن من ذلك بد، فقد استيقظ الرجل وأراد مقاومتي.

– وأين كان المال الذى سرق؟

– كان تحت الوسادة.

– شكرا يا سيدتي.

والتفت الخبير إلى سكرتيرته وسألها إن كانت قد أثبتت ذلك كله. ثم استأذنا وانصرفا.

وفيما هو خارج التقى الخبير بطائفة من مراسلى الصحف، سمعوا بنبأ حضوره، فبادروا ليتحسسوا منه جديدا عن القضية، فقال لهم: لقد أعطتنى أرملة القتيل أوصاف أحد الرجلين وقد كنت كونت عند حضورى فكرة عن القاتل، وأظننى قد انتهيت إلى ما يؤيد فكرتي.

وقصد الخبير إلى المحقق فسارع إليه فى لهفة قائلا: ما وراءك؟ لقد نقل إلى الصحفيين أنك اهتديت إلى الفاعل، فمن هو؟

فقال: ستتبينه حين تسمع المحضر من سكرتيرتي.

وأمرها أن تتلو المحضر، وبعد أن فرغت من تلاوته. قال المحقق: لم تزدنا

جديدا، فكل ما ذكرته كنا نعرفه من قبل. وأين من هذا ما تقوله من أنك اكتشفت القاتل؟ إن كل ما وصلت إليه أنك علمت ٌن القاتل كان يلبس قبعة صغيرة ويضع منظارا على عينيه – وهى معلومات قيمة أعجب كيف فات الأرملة ذكرها لنا – ولكن كيف تستطيع من هذه الأوصاف وحدها الاهتداء إليه.

فقال له الخبير: ألم تتطلع من هذا المحضر أن تحدس من القاتل؟! إن القاتل يا سيدى هو أرملة القتيل.

– هذا عجيب! إنها امرأة صالحة معروفة بالاستقامة والمواظبة على الكنيسة وفوق ذلك فقد وجد فى فمها وجسمها آثار مجهوداتها مع القاتلين.

– اسمع يا سيدى حجتى القاطعة فى أنها هى القاتلة:

أولا : لقد ذكرت أن أحد الرجلين بعد أن سمع الطلق خاطب الآخر قائلا: لماذا قتلته؟ وهل كانت هناك ضرورة ؟.

فأجابه الآخر قائلا :« لقد استيقظ وأراد للمقاومة فلم يكن من قتله بد ».

هل تتصور أن هذا طبيعي؟ ضع نفسك مكان أحد الرجلين وتصور أنك سمعت طلقا فى الغرفة الأخرى. فهل تقطع بأن المقتول هو الرجل النائم لا زميلك وتخاطبه بلهجة الواثق هكذا؟ إن حالة الشك والذعر ، والقلق التى تداخلك لا تسمح بمثل هذا الوثوق. فهى قصة غير طبيعية تنم عن الوضع والاختلاق

ثانيا: لقد ذكرت أنها سمعت حركة فقامت من نومها لتتبينها. هل هذا طبيعي؟ هل تعلم أن امرأة فى الوجود ترقد إلى جانب زوجها فتحس بحركة غير عادية تبعث على الهلع فتقوم من غير أن توقظ زوجها لتتولى بنفسها تبينها؟ أليس الطبيعى أن تبادر إلى إزعاجه وتحمله على أن يقوم هو بنفسه لحمايتها ودرء الخطر عنها؟

أما الوثاق والجروح والبكاء والإنجيل فكلها حيل بدائية يلجأ إليها البسطاء من المجرمين

الرأس والجنس:

هل هناك علاقة بين هيئة الرأس والجنس؟ هل ينبغي لكل من وهبه الله رأسا ضخما وجبهة عريضة أن يكون من عنصر معين؟ لقد أنفق علماء الإنسان فى ذلك جهدا ووقتا عظيمين. ولكن الدكتور فرانز فايدن رايخ البحاثة فى متحف التاريخ الطبيعى يؤكد لغيره من العلماء أنهم يضيعون وقتهم هباء إذا أصروا على تقرير قواعد فى هذا الموضوع. بل هو لا يؤيد غيره من العلماء الذين يريدون تقسيم البشر طبقات بحسب مقاييس رؤوسهم؛ ويذهبون إلى أن الأوربيين ينقسمون إلى طبقتين: طبقة عليا ذات رءوس مستديرة، وهم شعوب الشمال وشعوب البحر الأبيض، وطبقة دنيا ذات رؤوس طويلة أو متوسطة وهم أهل أوروبا الوسطى « الألبية والدينارية » ويظن أنهم نتجوا من الاختلاط مع شعوب مستديرة الرأس الآتية من آسيا.

فالآن قد انتهى الدكتور « فايدن رايخ » بعد أن قاس عددا كبيرا من الرؤوس إلى النتائج الآتية :

أولا : أن الآسيويين – وخاصة المغول – الذين كان يظن أنهم أصل الرؤوس الأوربية المستديرة – هم فى الواقع ذوو رؤوس مستطيلة لا مستديرة.

ثانيا : أن الشعوب الوحيدة ذات الرؤوس المستطيلة هى الشعوب المتوحشة فى إفريقية وأستراليا.

ثالثا : أن الناس المتحضرين من كل شعب تستدير رءوسهم شيئا فشيئا.

الغريزة الجنسية عند الفتيات :

قالت مجلة « ديتكتيف »: « ليس أفعل فى النفس من سلطان الغريزة الجنسية التى إذا ما ركبت رأس إنسان وتمكنت منه أفقدته عقله وسيطرت على حواسه وصيرته عبدا لها.

ونحن نعرض لهذا الموضوع على طريقتنا التحقيقية، فلا نتجاوز سرد الحوادث وعرضها أمام القارئ كفيلم السينما؛ كما أن فى ثنايا الحوادث التى أوردناها شرح لطريقة جديدة فى علم النفس هى أحدث وسائل الكشف عن جرائم الغريزة الجنسية وإبراز مكنونات النفس وسيرى منها القارئ أن كثيرين ممن يتهمون فى الجرائم الخلقية ليسوا إلا ضحايا لأحلام الفتيات وتسلط الغريزة على عقولهن، واختلاطها بتحفظهن مما يحدث تشويشا وتشعبا فى تفكيرهن يؤدى إلى اضطراب وتصور الأحلام أو القصص كأنها ضعيفة: فيكون الالتهام المختلق.

ولعل كل منا يذكر أن صديقا أو شخصا معروفا بحسن الخلق واستقامة السيرة قد اتهم فجأة بأمر مشين، وربما ذهب ضحية هذا الاتهام وقضى نحبه غما وكمدا لما أصابه من سوء السيرة.

فهل كل هؤلاء مذنبون حقا، وأى عامل يحمل الفتاة على اتهام شخص معين بما لم يفعله أو يفكر فيه؟ هذا ما كشفت عنه الحوادث السابقة، ونرجو أن يدرك القارئ ذلك جيدا فى مطالعتها ففيها سر المرأة أو الرجل، أو سر الطبيعة. أم الغرائز كلها.